

## ميكانيزمات الاشتغال الذهني في فهم وتأويل الخطاب

- مقارنة معرفية تداولية -

أ.د. محمد بلقاسم

أ/ محمد بكأي

جامعة تلمسان (الجزائر)

### تقديم:

نتجت العلوم المعرفية (*Les sciences cognitives*) عن التطورات الهائلة المكتشفة في ميادين الذكاء الاصطناعي واللسانيات وعلم النفس المعرفي والعلوم العصبية وفلسفة العقل وغيرها من مجالات المعرفة. وهذه الميادين تلقت في دائرة البحث عن تفسيراتٍ لقدرة العقل الإنساني ونشاط الدماغ واشتغاله، كما تبحث أيضا عن وصفٍ منهجي للسيرورات العقلية العاملة على مستوى الأنظمة الحية وكذلك دراسة الآليات العصبية المنظمة والفاعلة على مستوى الدماغ والتعبير عن هذه الأوصاف المجردة بصيغ البنية والوظيفة والمضمون<sup>1</sup>. أو بعبارة أخرى: هي تبحث في طبيعة المعرفة ومما تتألف.

وعلى الرغم من اشتراك هذه العلوم في بُعد معرفي واحد، إلا أنه يُمكن تقسيمها إلى مجموعات رئيسية؛ كل واحدة منها تتضمن برنامجا اشتغاليا معينا، ويُدرج الاستدلال أو العمليات المعرفية العليا ضمن اهتمامات الفلسفة وعلم النفس واللسانيات، أما العمليات الحية والإدراكية أو العمليات المعرفية الدنيا فهي من مجموع أعمال العلوم العصبية والفيزياء والرياضيات، وما ضمّ الآفاق الصورية والاشتغال التطبيقي على قدرات الآلة والمواد التكنولوجية فهو من اختصاص الدرس المعلوماتي والذكاء الاصطناعي. ونجد من التيارات المعرفية ما تعمق في دراسة معالجة المعلومات سواء الرمزية منها أو غيرها؛ وذلك بتناولها على مستوى التمثيلات المعرفية، ومن خلال عمليات الفهم والاستدلال والتأويل.

تأخذ العلوم المعرفية على عاتقها دراسة وتحليل أشكال الاشتغال المعرفي للعقل الإنساني إلى جانب إعطاء أهمية للاستبطان (*introspection*) لكونه طريقة تُفيد في الكشف عن عدد من الوقائع التي لها حضور معين في هذا الاشتغال. وبذلك تُسجّل العودة إلى اهتمامات مؤسسي علم النفس خلال أواخر القرن 19م، خاصة فيما يتعلّق من ذلك بالنشاط الذهني<sup>2</sup>.

أولا : الفرضيات ما قبل التداولية التي أثبتت حول مسألة التمثيل الذهني:

تعددت المحاولات في إخراج صيغة مهمة لتفسير الاشتغال الذهني وكيفية تبلور الفهم ثم التأويل؛ إلا أنها ظلت ناقصة إذا ما تمت مقارنتها بالجانب المعرفي الذي قدّم إنجازات هامة في مجال الاشتغال الذهني وغيره من النشاطات المعرفية. ومن هذه الجهود:

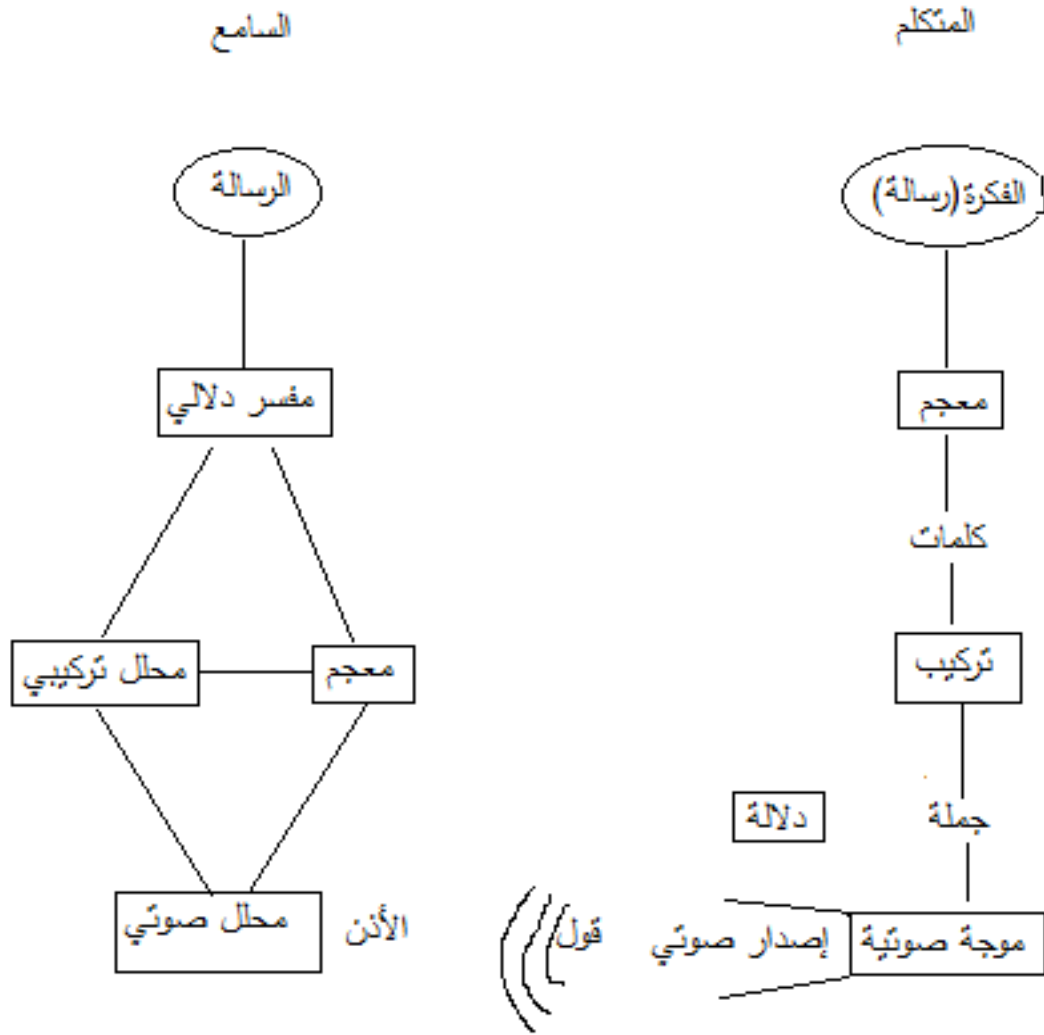
#### 1- النموذج التفاعلي (*Le modèle interactif*):

و نظر له كل من مارسلان ولسون وتايلور: فالمستمع يُحاول تأويل ما يُدرکه كلية مباشرة بعدما يلتقط هذه المدركات، وأخذا باهتمام السياق كعامل مهم في تأويل الملفوظات<sup>3</sup>. وقد "وضعا أثر الانتظارات المرتبطة بالسياق موضع البداية، واقترحا التخلي عن فكرة المستويات المتميزة للمعالجة ... [وهذا يعني أن] نشاط الذات سيقضي بناء تأويل للجملة منذ البداية. وذلك بالاستناد إلى نماذج المعلومات المتوفرة في وقت واحد: عناصر معجمية: آثار نحوية، أو معطيات سياقية"<sup>4</sup>.

#### 2- النموذج التسلسلي (*Le modèle sériel*):

وتُسمى أيضا بالمداخل المعجمية؛ حيث يمتلك كل متكلم للغة من اللغات في الذاكرة معجما داخليا، أي مجموعة من التمثيلات مع وحدات دالة في لغته، ومن تحديات هذا المذهب: "أنه كلما كانت الكلمة متواترة، كان المدخل إليها أكثر سرعة، وهذا هو أثر التواتر، وأن الكلمة لتكون أكثر سرعة إذا سبقتها كلمة أخرى تشترك معها دلاليا، وهذا هو أثر التنبيه"<sup>5</sup>. وأبرز ممثلي هذا المذهب: فورستر؛ حيث رأى أن عملية الفهم ترتبط بالمعالجة المعجمية أي مماثلة بين الوحدات كالليكسيمات والغرانيمات.... "وهو يتطابق مع متصور لتغير الصوت حيث تنفذ المعالجة المعجمية بشكل مستقل عن المستويات النحوية والدلالية، وتدعو إلى النظر إلى المعجم بوصفه قاموسا نستشير به تبعاً لبحثٍ تتابعي ونشط"<sup>6</sup>. ونجد أيضا ضمن الأطروحة التعايقية مورتون؛ "وهي تقترح أن لا يوجد بحث، تنشيط آلي للكلمات عن طريق المعلومات التي يجمعها النسق. وإنّ هذه السيرورة للتنشيط السلبي، والتي تسمح بالكشف عن أثر التنبيه مثلا، لتفترض تفاعلا دائما بين كل مستويات المعالجة"<sup>7</sup>.

وتكاد تجتمع هذه التصورات المعجمية والدلالية في محاولتها تقديم تفسير لما يحدث قبل الخطاب وأثناءه وبعده، فيستقبل المُتلقي توليفات من الكلمات المنظمة في جمل مضبوطة نحويا وحاملة لمعنى، ومحقة لفاعل تواصلية (*Acte communicationnel*)، وهذه الجمل بدورها تنتظم في شكل أعلى وهو الخطاب وذلك في المحادثات والحوارات والقصص مثلا. ويُمكن تمثيل حيز بحثها في المخطط التالي<sup>8</sup>:



#### ثانيا: الأطروحات التداولية:

تلتفت التداولية إلى دراسة المعنى التواصلية، أو معنى المرسل في كيفية قدرته على إيهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله<sup>9</sup>؛ وتطرح المقاربة التداولية من التساؤلات ما هو جوهرى في البحث عن عمليات الفهم والتأويل مثلا: "كيف نربط علاقة مع الأشخاص الآخرين بوساطة القول؟ وكيف نسهر على بقاء علاقات موجودة سلفا؟ وكيف يُمكننا التأثير على نشاط وآراء الأشخاص الآخرين؟ وما هي الطرق التي تتم بها الإحالة داخل التلَفُظَات على سياق النشاط والمقام، وكذلك على واقع العالم (الطبيعة) والمجتمع، و سيرورة العمل الذي يَتِمُّ نقله بوساطة التقاليد والتربية والخبرة؟"<sup>10</sup>.

هذا يعني عامة أن الحقل اللساني التداولي يهتم بالبُعد الاستعمالي و الإنجازي للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمخاطب والسياق، وما يقوم من تواصل وتفاعل بين هذه الأركان ووصف جدي لآليات هذا التواصل في الخطابات، والمُتمثلة في عملية الفهم الأولي، متبوعة بعملية التأويل؛ "فالمُرسل يبحث عن أفضل طريقة لينتج خطابا يُؤثّر به في المُرسَل إليه، كما أن المُرسَل إليه يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المُرسَل، وهذه الإجراءات لا تتبلور عبر منظومة خوارزمية تجريدية كما هو الحال في النحو، بل عبر تقدر ذهني عام"<sup>11</sup>.

ونجد هنا مجموعة من التساؤلات التي تفرض نفسها وذلك نحو: الكيفية التي نصوصغ بها أقوالنا، أو ما هي الميكانيزمات المشتغلة التي تحدث في الأذهان؟ وإضافة إلى الأداءات العادية للخطاب التي نقوم بها هناك استعمالات منزاحة عن أشكال التواصل المعهودة، فما هو مردّ ذلك؟ وهي إشكالات نحاول الإجابة عليها أولاً لنبحث بعد ذلك عن وظيفة هذه الميكانيزمات داخل الاشتغال الذهني، وهي ببساطة عمليات تنزع إلى ممارسة نوع من التحليل والتفكيك والاستنتاج والاستدلال والبناء للأقوال، بما فيها الانزياحية وذلك بشكل وظيفي في عملياتنا العقلية. كما يبحث الاشتغال الذهني في المعرفة من حيث صيرورتها، والتنظيم وفق البناء المعرفي للفرد، وتجهيز وتصريف ومعالجة المعلومات من حيث أنظمة التجهيز وطبيعة اشتغالها، واستراتيجيات المعالجة التي تتوقف فاعليتها على خصائص البناء المعرفي للفرد<sup>12</sup>.

من هنا تبحث المقاربة التداولية عن إجابة لتساؤلات من قبيل: كيف أننا قادرون على معرفة ما نعرفه؟ وما هي البنيات الإدراكية التي تجعل من المعارف متداولة بيننا؟ وما هي حدود وقدرات المعرفة وميكانيزمات العملية الإدراكية؟ وكيف يشتغل الذهن؟ نحو كيف يستقبل ويُرسَل؟ وكيف يُرتب؟ وكيف يستنتج؟<sup>13</sup>....

ومن أهم أطروحات العلوم المعرفية حول كيفية اشتغال الذهن البشري أثناء التلقي: أطروحة الوظيفية التي مفادها أن طريقة اشتغال الذهن البشري البيولوجي شبيهة باشتغال الآلة الميكانيكي أو الالكتروني، ومن أشياع هذا الاتجاه هيلاري بوتنام (*Hilary Putnam*)

وهناك الطرح التمثيلي أو التمثيلية: أي أن أدمغتنا تشترك مع الحواسيب في قدرتها على معالجة التمثلات<sup>14</sup> (*Représentation*) ذات الصّورة الرمزية. ومن أبرز ممثلي هذا المذهب نجد: جيرري فودور و دان سبربر وسوزان دردر ولسون وغيرهم.

#### 1- جيرري فودور Jerry A.Fodor:

قدّم جيرري فودور<sup>15</sup> Jerry A.Fodor تصوراته حول آليات اشتغال أذهاننا عندما نقوم بتلقي النصوص والبلاغات، من خلال تنظيره للمنظومية أو القالبية (*Modularité de l'esprit*) ، التي تُكون مع نظرية الفضاءات الذهنية (*Les espaces mentaux*) النظرية التداولية المعرفية.

افترض فودور *Fodor* أن اشتغال الذهن يتّصل بالمدركات المؤرّعة على منظومات متخصصة في معالجة المُدركات البصرية، والأخرى في معالجة المدركات السمعية، وثالثة في معالجة المدركات اللغوية<sup>16</sup>.

وحسب فودور فالذهن يحتوي على صنفين من الأنظمة: المدارية المتخصصة في التحليل والمعالجة عن طريق نظام معرفي يُدعى القالب، وأنظمة مركزية تعمل على مركزة المعلومات المُدرَكة ومُراقبة تألّفها، وذلك بإدماجها في المعلومات المُحتزنة في الذهن، ويتكون هذا الأخير من أنظمة قلبية متخصصة: كالقالب اللّمْسي والسّمي واللساني.... وهدف القالب هو التمثيل أو التّمثّل *La représentation*: أي أن تشكّل المعلومة يكون رمزيا أو تركيبيا على غرار اشتغال الأنظمة المركزية التي تتطلبها<sup>17</sup>.

و معالجة المعلومات اللغوية أو المرئية أو السمعية في ذهن البشر تمرّ عبر: المُحوّلة، ثم النظام الطرفي فالنظام المركزي. فأولا تُترجم المُدرَكات الحسية إلى نسق يقرأه النظام الطرفي، ثم تُعالج هذه الترجمة في منظومة متخصصة بمعالجة المُعطيات التي تُدرَكها هذه الحاسة، وهنا يحدث تأويل أولي لهذه المعطيات ولا يكتمل في هذا المستوى حتى يتدخل النظام المركزي؛ من حيث تربط النواقل العصبية المدركات المعالجة بهذه الأنظمة المُتمثلة في المقاصد والخلفيات والاعتقادات المستعملة لأغراض معرفية وسلوكية وظروف عامة في الملفوظ. وفي الأنظمة المركزية تتم مهمة إتمام عملية التأويل، وتتحقق هذه المهمة من خلال "مقارنة المعلومة مع معلومات أخرى معروفة سلفا، أو معلومات وقّرتها -في الآن ذاته- أنظمة طرفية أخرى، كما تتحقق نتيجة عمليات استدلالية<sup>18</sup>، وتتم فيه عمليات الاستدلال المتعلق بالأيام العادية وجوانب التفكير المُعَدّ الخاص بالعلم والفكر والفن.

إذا، أعطى فودور أهمية بالغة للأنظمة المركزية؛ ففيها تتدرج العمليات التداولية ومن هذا المنطلق تأتي دراسة التأويل التداولي للأقوال - في رأي سبرير و ولسون - من إيضاح طريقة اشتغال عمليات النظام المركزي.

## 2- دان سبرير ودردر سوزان ولسون<sup>19</sup>:

خالفاً سبرير و ولسون ما جاء به فودور من تصورات حول الاشتغال الذهني، ويتجلّى ذلك في إصدارهما: *"Relevance: communication and cognition"* الصادر عام 1989؛ حيث تحدّثا عن المنظومية المُعمّمة: أي أنه لا يوجد نظام مركزي بل هناك فضلا "عن المنظومات المُتخصّصة بمعالجة معطيات الإدراك، منظومات أخرى مدخلها ومخرجها معطيات تصويرية: ويُمكن للنوع الثاني من المنظومات أن يصلح مدخلا لمنظومات أخرى من النوع نفسه، ولهذا قد تُوجد منظومات إدراكية *Perceptuels* ومنظومات تصويرية *Conceptuels*<sup>20</sup>. وقد أسّسا كل منهما نظريةً في علم النفس المعرفي تُسمى نظرية المُناسبة<sup>21</sup> أو *الملائمة La théorie de pertinence*، والتي تهتم أكثر من سابقتها المعرفية والتداولية بمعالجة و بحث إشكالات التأويل التي تُعدّ آخر مرحلة في معالجة القول اللساني.

فالفهم الحرفي يكون في المستوى الذهني؛ حيث تُستقبل المعلومات المرتبطة بالأنظمة التقليدية، ويدفعنا الأمر إلى التساؤل عن كيفية معالجة القول وماهية ميكانيزمات التأويل؟ وكيف تتم؟

يُمرّ القول عبر النواقل العصبية ليصل إلى القالب اللساني المُتخصّص الذي يعمل على تقديم الشكل المنطقي للقول، وهو مرتبط بسياقه؛ فالنظام المداري اللساني يُعطينا شكلا منطقيا مُكوّنا من مفاهيم يُعدّ كل واحد منها عنوانا يضم معلومات منطقية (تضمنين أو تعارض..) وموسوعة أخرى معجمية. أمّا السياق الذي يُحلّل في دائرته القول



1- تعرف هذه السحب، ولكن إشارة الساكن أعطتها دلالة ما.

2- السحب غير مناسبة لها، ثم أضحت مناسبة نتيجة للفعل الإشاري للساكن.

3- هذه السحب لها مناسبة معينة، أي أنه أراد إخبارها بأمر جدير عليها أن تُركّز عليه.

**المناسبة:** وهي مسألة مردودية؛ فعمل التواصل الإشاري الاستدلالي (الذي يقوم به الساكن المحلي) يكون مناسباً إذا كان المخاطب -زينب- "يُحِبُّني بقدر ما يُنفق" أي "إذا تكَلَّمت الجهود التي يبذلها المخاطب لتأويل عملية التواصل الإشاري الاستدلالي هذا بنتائج كافية تستحق تلك الجهود"<sup>25</sup>: فمجهودات الساكن من إشارات ودلالات ستجعل زينب تبحث عن مقدمات منطقية ضمن معرفتها الموسوعية الموجودة في ذهنها، مستعملة الاستدلال الذي يقودها إلى استنتاج أو عدة استنتاجات، فقد تكون هذه السحب مصحوبة بزوبعة، أو قد تكون الزوابع خطيرة، وفي حال حصول الزوبعة تبقى داخل البيت، فالساكن المحلي يُريد إخبارها بوقوع زوبعة فعليةا المكوث في مكان آمن.

### ثالثاً: المشارب التداولية لنظرية الملائمة في تفسير الخطاب وتأويله:

يُمكن القول أن نظرية المناسبة بالغة الأهمية؛ لما قدّمته من تنظير دقيق ووصف علمي معرفي لعمليات اشتغال الذهن البشري؛ غير أنها تتأسلت من مفاهيم وتنظيرات تداولية سابقة لها متمثلة في مقولات أوستين وسيرل وغرايس. وفيما سيأتي عرض للبحث التداولي الذي قام به هؤلاء الثلاثة حول كيفية الاشتغال الذهني:

أولاً: جون أوستين<sup>26</sup> (1911-1960) John Austin :

صاحب الكتاب التداولي الشهير "How to do things with words" الصادر بُعيد وفاته سنة 1962. أسس لفلسفة اللغة، فانطلق من الجمل الواقعية الوصفية، فهي - عنده - صادقة إذ تصف واقعا تَحَقَّق في الكون، وأخرى كاذبة خلاف ذلك. غير أن هناك جملاً لا يُمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب كقولنا: "زَوَّجني ابنتك" و"أراهنك على أن السماء سُمطر غدًا"، وأطلق تسميات على هذه الجمل، منها: العبارات الإنجازية أو الإنشائية *Performative*. هو وتلميذه سيرل أسساً لنظرية الأفعال اللغوية *Speech acts*: وجوهرها أنك عندما تتلقَّظ يعني أنك تفعل، والفعل اللغوي فعل ينتج عن تحقيق الحدث *L'action* وهو فعل قصدي *Intentionnelle* وخاضع للمواضعة و التعاقد الاجتماعي *Conventionnelle* وناجم عن طبيعة سياقية ومقامية *Cotextuelle et contextuelle* أي أن "الفعل *L'acte* يُمثّل الوحدة الأولية لكل تفكير تصوّري، حيث اللغة تُستعمل لتمثيل الفكر، فإنه لا وجود لمفوض إلا وهو تجسيد لإنجاز الفعل"<sup>27</sup>.

وهذا الفعل يُمثّل الممارسة اللغوية والتفاعل التواصلية، وهو كلام يُنتجه المتكلم الذي يُنظم ما هو جاهز داخل قدرته التواصلية انسجاماً مع نظام العلاقات الاجتماعية، أي أننا خلافاً لما شهدته النظريات البنائية في التواصل والتبليغ المقصورة على الجملة كحدّ معرفي أقصى للسانيات؛ فإن فلسفة اللغة عامة وأفعال الكلام خاصة، أضحت المعنى فيها يُعبّر عن أفكار وأحاسيس المُلقين أو مقاصدهم.

إنّ الفعل اللغوي سلوك مقصود، و يتوقف إدراك المقاصد عموماً على مدى انسجام المتكلم مع السياق والسياس المقامي بشكل عام، وعلى مدى انتباه المخاطب لهذا الانسجام. والقصد الاتصالي عند أوستين يهتم بالفعل الدلالي، ويرى أن غايته ذاتية، وهي استدعاء فهم المخاطب وإبلاغه شيئاً ما، وله غرض خاص وراء هذا الاتصال: "قالأب حين يقول لابنه أغلق النافذة" لا يستوفي الأب الغرض الخاص من قوله بمجرد فهم الابن كلامه، بل على هذا الأخير أن يُنجز الفعل المطلوب، فالغرض من هذا الفعل الدلالي أي القول الطلبي: هو تحقيق الفعل الموافق من قبل المطلوب منه، وثمة غرض مُختلف يُقصد مثلاً من إبرام صيغة العقد، فعندما يُعلن البائع للمشتري "بِعُكْ هذا العقار"، لاشك أنه بهذا القول لا يكتفي بإبلاغ المشتري ذلك، لا بدّ له أن يتصرّف على أن العقار لم يعد له<sup>28</sup>: فجعل الابن يُغلق النافذة هو غرض فعل الأمر، أما التنازل عن الملكية فهو غرض فعل الإعلان أو التصريح.

ثانيا جون سيرل<sup>29</sup> (1932-) John Rogers Searle:

طوّر سيرل نظرية أستاذه خاصة على صعيد المقاصد والمواضع. فنظرية الأعمال اللغوية تُقر بوجود الحالات الذهنية، لأنها تدرُس بشكل خاص المقاصد؛ حيث تُترجم هذه الأخيرة إلى أعمال لغوية (أي جمل) خاضعة للتواصل.

وللمقاصد أهمية قُصوى في إنجاز الأفعال عند سيرل، وهي -عنده- "عناصر خفيّة تعتمد في شكل اتفاق ضمنى من قبل المتخاطبين الذين يسهرون على مجرى التواصل الحسن بموجب لعبة ذكية من الاستنتاجات"<sup>30</sup>؛ أي المقاصد هي المنطلقات الشخصية للمتحدّثين، فهي نوايا القائلين؛ فمثلاً الملاحظ لقول من قبيل "أعدك بأن أحضر غداً" فإنه يقصد في مقام أول "الوعد بأن يحضر غداً"، ويُحقق بفعل مواضعة تُحدّد معنى هذه الجملة؛ فإن للقائل نية الوعد بالحضور غداً، ويُحقّق هذه النية بإنتاج جملة "أعدك بأن أحضر غداً"، لأنّه ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة أن يُبلِّغ مخاطبه بقصده: الوعد بأن يحضر غداً لما لمخاطبه من معرفة بالقواعد؛ ولقائل هذه الجملة مقصد مزدوج:

▪ أوّله إبلاغ فحوى هذه الجملة.

▪ وثانيه الإعلام بهذا المقصد الأول بموجب قواعد تواضعيّة تتحكّم في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة.

أعطى سيرل أهمية لمنطلقات المتكلم (مقاصده) فالوصف مثلاً يختلف عن التجربة الفردية عند الكاتب، فيعتمد وصف الحديث عن الحرية أو الحبّ أو الظلم على التجربة التي تعتمد بدورها على كمّ معرفي يتوقّف لأيّ كائن بشري: فكل من الذات الجمعية والفردية لهما معايير خاصة في تحديدها تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن فرد إلى آخر في البيئة نفسها، وهو ما يُحدّد الوصف عن تجربة الواقع.

يبدأ المتكلم بحافز للكلام، ثم تأتي خُطة القول وهي الصورة الدلالية البدئية، وهنا يتحدّد مضمون القول، وفيه يفصل بين موضوع القول *thème* المراد الكلام عنه، والحديث *rhème* وهو المادة الجديدة المتضمنة في القول<sup>31</sup>، وفيها الحدس الذاتي العام للقول ثم يُحول المتكلم الموضوع إلى قول أي إلى تحويل هذا الحدس الذاتي إلى نسق من المعاني الكلامية لتكون مفهومة بالنسبة للآخرين، إلا أن قضية تحويل الفكرة إلى الكلام - في الواقع - تكون أكثر تعقيداً ممّا



يُفترض، فالفكرة تنتقل عبر مراحل لتصل في نهاية دورتها إلى الكلام "كما أنه ليس من السهل أن يتفاعل المُنتج مع تدفق فكرة وعيه الخاص، وأن يظلّ في الوقت نفسه مفكراً"<sup>32</sup>. وفي عملية الفهم وما يُريد المتكلم نقله إلى السامع يكون معروفاً له شخصياً، وبشكل مُسبق أي الافتراض المسبق *Présupposition*. مثلاً محادثة بين شخصين حول إغلاق النافذة أم عدمه، فالتصور المشترك بين المُلقي والمُتلقي أن النافذة مفتوحة، وهذه الافتراضات عبارة عن منطلقات نفسية وثقافية واجتماعية، تُحتمّ عليه إنتاج خطاب معين وانتقاء عبارات دون غيرها<sup>33</sup>.

و عموماً فتحليل متواليّة من أفعال الكلام تحدث بواسطة الخطوات التالية:

- 1- إنزال أفعال الكلام في سياقاتها المقامية أي أحوال التلفظ؛ حيث اتجاه مجرى الأحداث وأحوال المتكلم والمُتلقي.
- 2- مراعاة الضوابط المحددة لترتيب التمثيل الذهني لأفعال الكلام وهي ترتيب متواليّة الحدث وترتيب ملاحظة إدراك متواليّة الحدث وترتيب نقل المعلومات وترتيب قوى أفعال الكلام.
- 3- علينا الإدراك أن العلاقات بين الجمل ليست علاقات دلالية فحسب، بل هي علاقات تداولية أيضاً تتكون عن طريق الروابط التداولية مثل الواو، ولكن، مع أن، بالرغم من، ..
- 4- وصف العمل التداولي في النص، يتم بواسطة السيمانتيقّة النظرية، لأنها تُعطي تركيباً في التجريد.
- 5- تحليل البنيات التداولية الكبرى: فمتواليّة أفعال الكلام المتنوعة تكون لها وظيفة إجمالية واحدة، والتأويل وما يسبقه من افتراض وتخطيط: أي تحتاج معالجة المعلومات المعقّدة إلى صياغات البنيات الشاملة الكبرى. فكشف البنية التداولية الكبرى لأبديّ فيه من القيام بخطّ تصاميم للقيام بالفعل، وهو خاضع لبنيات تراثية لتنظيم كُليّ للمتواليّة: فنختار ثم نُصمم ونُعدّ ونُنفّذ، وتكون منها التمهيدية والضرورية والمساعدة، ويختلف تصميم البنية الشاملة مع التصميم الذهني للأحداث، بل يُمكن التعويض عن عدّة أفعال بفعل واحد.

وأشار فان دايك إلى هذه النقاط التحليلية في كيفية الوصول إلى الفعل الكلامي الشامل: وهو فعل الإنجاز الشامل الذي يُعيّن الغرض الكليّ للنص أي وظيفة النص وتحدّد هذه الكيفية بشكل مجمل في: السياق والضوابط المعرفية الكبرى (الملاحظة والإدراك والتأويل) والحيز الموقعي في النص<sup>34</sup>.

ثالثاً بول غرايس<sup>35</sup> (1913-1988): Paul Grice

اقترح غرايس مفاهيم أعمّ من مفاهيم أوستين وسيرل -التي سبق ذكرها-: أي كيف ننجز الأشياء بالكلمات؟ وكيف تتم عمليات الفهم؟ وما هي ضوابط التأويل؟ وارتكازهما على الافتراض المسبق؟ والمُضمرات في فهم الكلام وتأويله، أما غرايس فقد جاء بمفاهيم تنظيمية للتواصل منها: أنه مؤسس مبدأ التعاون داخل التبادل التعاوني حول مقاصد المشاركين، وهذه المقاصد ليست في الواقع صريحة بين أطراف التواصل والتبادل، "و الحال أنها عبارة عن عناصر خفية، تعتمد في شكل اتفاق ضمني من قبل المتخاطبين الذين يسهرون على مجرى التواصل الحسن بموجب لعبة ذكية من الاستنتاجات"<sup>36</sup>.

وحدثه عن المقاصد كان في ثنايا بحثه عن الدلالة غير الطبيعية، وهي عنده النوايا التي تدفعنا إلى تكوين جملة أو قول. ذلك يعني أن القائل كان ينوي - وهو يتلقظ بهذه الجملة - إيقاع التأثير في المستمع بفضل فهم هذا المخاطب لنيته. وللنوايا حضور طاغ على التحليل التحدّثي أو الحواري الذي جاء به غرايس *L'analyse conversationnelle*.

غير أن هذا الإرث التداولي عند أوستين وسيرل ثم غرايس حمل في طياته مفاهيم شفافة وبسيطة إلى حدّ بعيد غير منظر له ولا تمتلك ضابطا لمعاييرها، وعلى سبيل الذكر نجد: فعل الكلام والتلفظ والإنجاز ونوايا القائل أو منطلقاته، والمعرفة الشخصية والتوقع والروابط التداولية والمُضَمَّر والافتراض المسبق وسياق الحال وغيرها. فأغلبها لم تُعدّ كونها مفاهيم عامة عن الحالات الذهنية خالية من التعمق والتدقيق، وبعيدة عن العلوم المعرفية؛ فهي لم تستوعب العمليات الاستدلالية، ولكنها قدّمت من منظور المعرفة المشتركة أو الافتراض المُسبق، لذلك ركّزنا في بداية هذا المقال على أعمال تداولية معرفية محضة، وليست هجينا بين فلسفة اللغة والتواصل... وهذه الأعمال التداولية للعمليات الذهنية ومفاهيمها وكيف تتم؟ وفي أية مستوى؟ وما هي الميكانيزمات التي تتحكّم فيها؟ فكانت من اهتمام نظرية القالبية ونظرية الملائمة.

- 1- look to : David Lee, "Cognitive Linguistics: an introduction", Oxford University Press 2001, p.2&3.
- 2 - يُنظر: عبد الكريم بلحاج ، "علم النفس المعرفي: قضايا النشأة والمفهوم"، مجلة فكر ونقد. دار النشر المغربية، الدار البيضاء، العدد 58، ص: 65.
- 3 J- Caelen,"*Eléments de linguistique et de pragmatique pour la compréhension automatique du langage: du signe au sens*", CLIPS, France, p37.
- 4 - أوزوالد دوكرو وجان ماري سشايغر، "القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان"، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2007، ص: 452.
- 5 - المصدر نفسه، ص: 449.
- 6 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 7 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- 8 - فالح العجمي، "العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص"، مجلة "عالم الفكر"، إصدار المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 28، العدد 1، 1999، ص: 349.
- 9 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ص: 22.
- 10 - الجبلاي دلاش، "مدخل إلى اللسانيات التداولية"، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص43.
- 11 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية"، ص: 24.
- 12 - عبد الكريم بلحاج ، "علم النفس المعرفي: قضايا النشأة والمفهوم"، ص: 66.
- 13 - عبد السلام عشير، "إشكالات التواصل والحجاج: مقارنة تداولية معرفية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، المغرب، 2000، ص25.
- 14 - التمثيل و التمثيل مصطلحان يسود في التداولية وهما مجموعة المعارف والاعتقادات التي تُخزّن في الذاكرة (التمثّل) ويتم استرجاعها عند الحاجة ومعالجتها معالجة ذهنية (التمثيل)
- 15 - جيرري فودور فيلسوف وعالم نفس أمريكي وُلد سنة 1935. باحث في مختبر متخصص في الالكترونيات. يُدرّس الفلسفة وعلم النفس منذ سنة 1963 في معهد مساشوستس للتكنولوجيا MIT، من الذين أوضحوا مفهوم المنظومية الذي كان شائعا في الدراسات اللسانية النفسية وقد أعطاه صيغة حديثة في كتابه: Modularity of Mind 1983.
- 16 - آن روبرول وجاك موشلار، "التداولية اليوم: علم جديد في التواصل"، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص74 و75.
- 17 - عبد السلام عشير، "إشكالات التواصل والحجاج"، ص29.

- 18 - آن روبول وجاك موشلار ، "التداولية اليوم"، ص74.
- 19 - ديردر سوزان ولسون Deirder Susan Wilson متخصصة في اللسانيات وُلدت سنة 1941، تُدرّس في جامعة لندن. صدر لها بالاشتراك مع دان سبرير : La pertinence, Communication et cognitive, 1989. et Façon de parler, cahiers de linguistique françaises 7, 1987.
- 20 - آن روبول وجاك موشلار ، "التداولية اليوم"، ص: 75.
- 21 - مفاد هذه النظرية أن تأويل الأقوال يقوم على استدلالات تستند إلى السياق وتفضي إلى نتائج، بحيث يكون القول مناسباً كلما كان الجهد المبذول في تأويله أقل والنتائج التي نتوصل إليها أكثر، وتضعف درجة المناسبة كلما كان جهد التأويل كبيراً. ولهذا اعتبرنا المناسبة مسألة مرتبطة بت "المردودية: وتقييم الإنتاجية مثلاً بمعيار المُدخل والمُخرَج (الجهد/النتائج).
- 22 - عبد السلام عشير ، "إشكالات التواصل والحجاج"، ص21.
- 23 - آن روبول وجاك موشلار ، "التداولية اليوم"، ص78.
- 24 - يُنظر بشكل مفصل وموضح في: "التداولية اليوم"، ص84 و85.
- 25 - آن روبول وجاك موشلار ، المرجع السابق، ص: 81.
- 26 - جون أوستين منطقي ولساني بريطاني وُلد سنة 1911 وتوفي سنة 1960 . درّس الفلسفة في جامعة أكسفورد بين سنتي 1952 و 1960 ، لم تصدر له كتب، إلا أن مقالاته جُمعت في: Philosophical Papers; 1961 و Sens and Sensibilia, 1962. و How to do things with words, 1962.
- 27 - عبد السلام إسماعيلي، "التلفظ والانجاز"، مجلة فكر ونقد، موقع محمد عابد الجابري الإلكتروني.
- 28 - عادل فاخوري، "تيارات في السيمياء"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990. ص97.
- 29 - جون روجرز سيرل، فيلسوف أمريكي وُلد سنة 1932، تتلمذ على يد أوستين، واعتبر أن وحدة التواصل هي العمل اللغوي، ومن أبرز مؤلفاته: Speech act, An essay in the Philosophy of Language, 1969. و Expression and meaninig, 1979.
- 30 - الجيلالي دلاش، "مدخل إلى اللسانيات التداولية"، ص33.
- 31 - فالح العجمي، "العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص"، ص: 355 .
- 32 - المرجع نفسه، ص352.
- 33 - George Yule, "Pragmatics", Oxford University Press, 5th imp; p26.
- 34 - جمعان عبد الكريم، "فعل الكلام النصي"، موقع منتدى اللسانيات الإلكتروني www.lissaniat.net ، إشراف: د. عبد الرحمن بودرع، منتدى لسانيات النص وتقنيات التحليل [يتصرف].
- 35 - بول غرايس فيلسوف أمريكي وُلد سنة 1913 وتوفي سنة 1988، من أهم فلاسفة اللغة ممن كان لهم أثر كبير في توجيه الدرس الفلسفي للمعنى وكيفية تشكله من اللغة انطلاقاً من فهم آليات المُحادثة، صاغ نظريته في الدلالة القصدية من خلال محاضراته الشهيرة "محاضرات وليام جيمس"، التي ألقاها بهارفارد سنة 1968، ونُشرت لاحقاً سنة 1975، أصدر مقالا تُرجم إلى عدة لغات هو : المنطق والمحادثة Logic and conversation.

<sup>36</sup> - حفناوي بعلي، "الشعريات والتداوليات: مقارنة في المفاهيم والأفانيم وجماليات التلقي"، مجلة التبيين، العدد 23، ديسمبر 2004، إصدار جمعية الجاحظية، الجزائر، ص57.

#### مصادر البحث:

#### الكتب العربية والمترجمة:

- 1- دوكرو، أوزولد وجان ماري سشايفر، "القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان"، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2007.
- 2- فاخوري، عادل، "تيارات في السيمياء"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990.
- 3- الجيلالي، دلائش، "مدخل إلى اللسانيات التداولية"، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- 4- روبول آن، وموشلار، جاك، "التداولية اليوم: علم جديد في التواصل"، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2003.
- 5- عشير، عبد السلام، "إشكالات التواصل والحجاج (مقارنة تداولية معرفية)"، بحث مقدم لنيل دكتوراه الدولة في اللسانيات التداولية من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس المغرب، 2000.

#### المجلات والدوريات:

- 6- مجلة " التبيين"، إصدار الجاحظية، الجزائر، العدد23، ديسمبر 2004
- 7- مجلة "عالم الفكر"، إصدار المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد28، العدد 1، 1999.
- 8- مجلة "فكر ونقد"، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، العددان:23 و 58.

#### الكتب الأجنبية:

- 9- David Lee, "Cognitive Linguistics: an introduction", Oxford University Press 2001
- 10-J-Caelen, "Eléments de linguistique et de pragmatique: pour la compréhension automatique du langage :du signe au sens", CLIPS, FRANCE.
- 11-George Yule , "Pragmatics" , Oxford University Press , 5th impression;2000.

